﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [النّور: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكر دلائل الرحمة ووسائلها بعد الأمر بطلبها

لمّا ذَكَرَ اللّه ﷻ في آخر سورة المؤمنون المَبدَأ العامَّ في مسألة الخلق، وهو أنَّه لم يخلقنا عبثًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:115] بيَّن في سورة النّور أنَّه شرع لنا ما نستضيء به في حياتنا مِمّا فرضه علينا من الأحكام والأداء[1]، فجاء في أول سورة النّور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وكذلك لمّا أمر رسول اللّه ﷺ في خاتمة السّورة المتقدمة بطلب المغفرة والرَّحمة، وطلبه يستلزم مطلوبه لا محالة، بدليل سَلْ تُعط، أردفه بِذِكْرِ ما هو أصل كُلِّ رحمة ومنشأ كُلِّ خير ببيان ما خُلقوا له من الأحكام لأنَّهم لم يُخلقوا سُدى، بل لتكاليف تعبدهم بها ترفع التَّنازع وتحسم مادَّة الشَّرِّ، فتوجب الرَّحمة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُورَةٌ﴾: أَصلُ الكلمةِ مِنَ السَّوْرِ وهو العُلوُّ والارْتِفاعُ، يُقالُ: سارَ يَسورُ سَوْرًا؛ أيْ: عَلا وارْتَفَعَ[3]، والسّورةُ: المَنْزِلَةُ والرِّفعَةُ[4]، تقولُ: كانَتْ لهم سورةٌ جليلَةٌ؛ أيْ: منزلةٌ، والجَمعُ: سَوَرٌ، والسّورةُ أيضًا: مَجموعُ آياتٍ ممّا أنزل اللّهُ تعالى، معلومُ الابتِداءِ والانتِهاءِ، والسّورَةُ: بالهَمزِ وبتَركِه؛ فبالهَمزِ مِن السُّؤْرِ: وهو البَقيَّةُ مِمّا

(1) السُّيوطيّ، الدُّرُّ المنثور: 6/ 104.
(2) النَّيسابوريّ، تفسير غرائب القرآن: 5/ 141، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/ 229.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سور).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سور).

يَشرَبُ الشّارِبُ؛ لأنَّ كُلَّ سورةٍ مِن القُرآنِ بَقيَّةٌ منه، وبغيرِ الهَمزِ: قيل: مِنَ السّورِ بمعنى الجماعةِ؛ لأنَّ السّورةَ مُشتَمِلةٌ على جماعةِ الآياتِ[1]، أو مِن السّورِ المُحيطِ بالأبنيةِ؛ لأنَّ السّورةَ مُحيطةٌ بالآياتِ[2]، وقيلَ غَيرُ ذلك، وأمّا المُرادُ بها في الآيةِ: فجزءٌ من القرآنِ مُعَيَّنٌ بمبدأٍ ونهايةٍ وعددِ آياتٍ[3].

2) ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: (فرض) أَصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تأثيرٍ في شَيءٍ مِنْ حَزٍّ أو غيره، فالفَرضُ: الحَزُّ في الشَّيءِ، يُقالُ: فرَضَ الخَشَبَةَ؛ أيْ: حزَّها أو قَطَعَها[4]، ويُطْلَقُ بِمَعنى الإلزامِ، فيُقال: فرَضَ عليهِ الأَمرَ؛ أيْ: أَوْجَبَهُ وأَلْزَمَهُ به، ويأتي بمعنى التَّقْديرِ، فيُقال: فرَضَ القاضي النَّفَقَةَ فرْضًا؛ أيْ: قَدَّرَها، ومِن مَعانيهِ أيضًا: الثُّبوتُ والتَّوْسيعُ والتَّخْصيصُ[5]، ومعنى الفَرض في الآية: التَّقدير، والمُراد به تقدير ما فيها من الحدود والأحكام على أتمِّ وجهٍ[6].

3) ﴿ءَايَـٰتٍ﴾: أصلُ الآية العلامة الثّابتة من قولك: تأَيَّيْتُ بالمكان إذا أقمتُ به وثبتُّ فيه: ومن ثم يُقالُ: لأجعلنَّك آية؛ أيْ: علامة، مُشتقَّة مِن التَّأَيّي الَّذي هو التَّثبت والإقامة على الشَّيء[7]، تَقولُ: خَرِبَتْ دارُ فُلانٍ وما بَقيَ فيها آيَةٌ؛ أيْ: عَلامَةٌ، ومِنْهُ سُمّيَت الآيَةُ مِن القُرْآنِ بذلك لأنَّها عَلامَةٌ لانْقِطاعِ الكلامِ الذي قَبْلَها والذي بَعْدَها، وتُطلَقُ على المَصْنوعِ المُعْجِبِ لِأَنَّهُ يكونُ علامةً على إتقانِ صانِعِهِ أَو عَظَمَةِ صاحِبِه[8]، وكذلك تُطلَقُ على الحُجَّةِ المثبَتَةِ لأَنَّها علامَةٌ على ثُبوتِ الحَقِّ، وتُطلَقُ أيضًا على العِبْرَةِ، وهي أمرٌ وقع ومضى لكن بقي ما يُتَّعَظ به منه ويُتَّخذ مثلًا[9]، والمُراد مِنَ الآياتِ المُنَزَّلَةِ في هذهِ السّورةِ جَميعُ ما اشْتَمَلَتْ عليه من الآياتِ لا آياتٌ مخصوصةٌ مِنْ بَيْنِها[10].

(1) الرّاغب، المُفردات، الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 1/ 84.
(2) الرّاغب، المُفردات، والسّمين، عُمدة الحُفّاظ: (سور).
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/ 120، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 142.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرض).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (فرض).
(6) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 18/ 66.
(7) الخليل، العين، والرّاغب، المُفردات: (أى).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيّى).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (إيي - إي).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 144.

4) ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: أصلُ الكلمةِ مِن البَيْنِ، وهو بُعْدُ الشَّيءِ وانْكِشافُهُ، فالبَيْنُ الفِراقُ؛ يُقالُ بانَ يَبِينُ بَيْنًا وبَيْنونَةً، والبَيونُ البِئْرُ البَعيدَةُ القَعْرِ[1]، والبَيِّنةُ: الأمرُ الواضح، ومنه قوله: ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: 57]؛ أيْ: أنا على أَمرٍ واضحٍ ظاهرٍ، والبَيِّنة أيضًا: الحُجَّة، ومنه: (البَيِّنةُ على المدَّعي)؛ لأنَّ بها ينكشف الحقّ ويتَّضح، والبَيِّنةُ كذلك: الدَّلالة الواضحة عقليَّة كانت أو حسيَّة[2]، والبيانُ: التَّوضيحُ والكَشْفُ، يُقالُ: بانَ الشَّيءُ وأَبانَ إذا اتَّضَحَ وانكَشَفَ، وفُلانٌ أَبْيَنُ مِنْ فُلانٍ؛ أَي: أَوضَحُ كَلامًا مِنْهُ[3]، والمقصود بالبَيِّنات في الآية: جَمعُ بَيِّنَةٍ، وهيَ الواضحات الدَّلالة على وحدانيتنا، وقُدرتنا[4].

5) ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أصلُ الذِّكْرِ الحِفْظُ الَّذي تَذْكُرُه، وهو خِلافُ النِّسيان[5]، ثُمَّ حُمِلَ عليه الذِّكْرُ باللِّسانِ، فالذِّكْرُ ما ذَكَرْتَهُ بِلِسانِكَ وأَظهرته، والذُّكْرُ - بضَمِّ الذّال - بالقَلْبِ، يُقالُ: ما زالَ مِنّي على ذُكْرٍ؛ أيْ: لَم أَنْسَه[6]، والتَّذكِرَةُ: ما تُسْتَذْكَرُ به الحاجَةُ، واسْتَذْكَرَ الشَّيءَ: دَرَسَهُ للذِّكْرِ، والاسْتِذْكارُ: الدِّراسَةُ لِلْحِفْظِ، والتَّذَكُّر: تَذَكُّرُ ما أُنسيته[7]، والمقصود بالتَّذَكُّرِ في الآية: خُطورُ ما كانَ منسيًّا بالذّهن، وأَصلُهُ تَتَذَكَّروا، فأُدْغِمَ التّاءُ في الذّالِ لتقارُبِ مخرجيهما، وهو مِنَ الذُّكْرِ المضمومِ الذّالِ الَّذي هوضِدُّ النِّسيانِ[8]؛ أيْ: تتذكرون وتتَّعظون.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ الحقُّ تعالى أنَّ هذه السّورةَ أَنزَلَها، وبَيَّنَ فيها واجباتٍ

الإرشـــاد إلى النِّظام الأقـوم والسُّلوك الأمثَل فـــي الأســـرة والمجتمع

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(2) السّمين، عُمدة الحُفّاظ: (بين).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 78.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والمحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(6) أبو عمرو الشّيبانيّ، الجيم، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(7) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عباد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 145.

ونواهيَ، وقدَّرَ فيها ما تضَمَّنَتْه من الحُدودِ والحُقوقِ، وأوجبَ العملَ بما اشتمَلتْ عليه، وأنزَلَ فيها آيات واضحات الدّلالة على ما فيها من الأَحكام والآداب، فليس فيها مشكلات أَو مشتبهات تحتاج إِلى التَّأويل؛ وذلك لكي تَتذكَّروا بهذه الآياتِ وتَتَّعظوا بها وتَعملوا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مقاصدُ تنكيرِ ﴿سُورَةٌ﴾:

تفخيم شأن هذه السّورة استرعاءً للسّامعين للأخذ بأحكامها

التَّنكير في لفظ ﴿سُورَةٌ﴾ مُفيدٌ للفخامة من حيث الذّات[2] والصِّفات[3] فهي سورة عظيمة جليلةٌ مُشتملة على قصص وأحكام وعِبَرٍ ومَواعِظَ وحدود وأمثالٍ[4]، ويكون الابتداء بكلمة سورَةٌ ثُمَّ التّثنيةُ بذكرِ الصِّفات تشويقًا إلى ما يأتي بعده[5] مِثْلَ قول النبي ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرَّحمن خفيفتان على اللِّسان ثقيلتان في الميزان سُبحان الله وبحمده سُبحان الله العظيم»[6].

والسّورة حقيقة بهذه العناية؛ فقد عالجت ناحية من أخطر النَّواحي؛ ناحية الأسرة وما يحفُّها، وبخاصَّة العِرض وأثره والخوض فيه، ثُمَّ ذكرت قِصَّة الإفك وما فيها من آداب وحكم غالية، وإشارات سامية، وما يستتبع ذلك من الأمر بغضِّ النَّظر، والاستئذان وغير ذلك ممّا يُساعد على العِفَّة، وعلى العُموم ففي هذه السّورة أسس الحياة المنزليَّة وآداب الحياة الزوجيَّة الصَّحيحة، وما يتَّصل بذلك[7].

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 136، 137، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 158، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 5.

(2) البروسويّ، روح البيان: 6/ 11، والقاسميّ، محاسن التَّأويل: 7/ 308.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 155، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 273.

(4) ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 6/ 105.

(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 142.

(6) الحديث مُتَّفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، البُخاريّ، صحيح البخاريّ، كِتابُ الدَّعَواتِ، بابُ فضْلِ التَّسْبيحِ، برقم: (6406)، ومُسلم، صحيح مُسلم، كتاب الذِّكْرِ والدُّعاءِ والتَّوْبَةِ والاِسْتِغْفارِ، بابُ فضْلِ التَّهْليلِ والتَّسْبيحِ والدُّعاءِ، برقم: (2694).

(7) حجازيّ، التّفسير الواضح: 2/ 649.

بلاغة استعارة لفظ السّورة للطّائفة من القرآن:

من تسوّر بسور القرآن عُصِمَ من الفتن والشّيطان

السّورة هي الطّائفة من القرآن، التي أقلُّها ثلاث آيات، منقولة، ومستعارة من سور المدينة وهو حائطها المُشتملُ عليها[1]؛ لأنَّها محيطة بآياتها إحاطة السّور بما يكون بداخله، محتويةٌ على أنواع من العلم، احتواء سور المدينة على ما فيها، أو من السّورة، وهي الرُّتبة والمنزلة السّامية؛ لأنَّ السّوَرَ كالمراتب والمنازل يرتقي فيها القارئ، ولها مَراتب في الطّول، والقصر، والفضل، والشَّرف، وثواب القراءة[2]؛ والسّورة القرآنية سميت بذلك لرفعتها وعلوّ شأنها؛ فالسّورة أصلُها الرِّفعة، قال النّابغة للنُّعمان بن المُنذر:

أَلَم تَرَ أنَّ اللّه أَعْطاكَ سورةً *** تَرى كُلَّ مُلْكٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ[3]

فَخَصَّ السّورة من القرآن بهذا الاسم لِشَرَفِها وعُلوِّ منزلتها ولما فيها من الأحكام الشَّريفة العالية وارتفاعها بذكر الأحكام العظام[4]؛ وعلى كِلا المَعْنَيَيْنِ ففي التَّعبير بالسّورة استعارةٌ تصريحيَّة أصليَّة حيث شُبِّهت السّورة بالسّورِ في احاطتها بما تحويه أو بالمراتب العالية في الشَّرف والرِّفعة وكلا المعنَيَيْنِ لائقٌ بسور القرآن.

غرض حذف المبتدأ:

اعتِبارُ كَونِها في شرَفِ الذِّكرِ في حُكْمِ الحاضِرِ المُشاهَدِ

قَولُه تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ خبرُ مبتدَأٍ مَحذوفٍ[5]؛ أيْ: هذه سورةٌ، وإنَّما أُشيرَ إليها مع عَدمِ سَبْقِ ذِكْرِها؛ لأنَّها باعتِبارِ كَونِها في شرَفِ الذِّكرِ في حُكْمِ الحاضِرِ المُشاهَدِ[6]، فاسم الإشارة

(1) البروسويّ، روح البيان: 6/ 113.
(2) الدُّرة، تفسير القرآن الكريم: 6/ 316.
(3) ابن سلام، الأمثال، ص: 186.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 158، والسَّمرقنديّ، تفسير السّمرقنديّ: 2/ 494، والسّيواسيّ، عيون التّفاسير: 3/ 158.
(5) ويجوز أن تكون ﴿سُورَةٌ﴾ مبتدأ ويكون قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النّور: 2] إلى آخر السورة خبرًا عن ﴿سُورَةٌ﴾ وساغ الابتداء بالنكرة، لأنّها وُصفت بجملة ﴿أَنزَلْنَاهَا﴾، يُنظر: الدَّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 6/ 557.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 155، والآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 273.

المُقَدَّر يُشيرُ إلى حاضرٍ في السَّمع وهو الكلام المُتتالي، فكلُّ ما ينزل من هذه السّورة وأُلحِقَ بها من الآيات فهو من المُشار إليه باسم الإشارة المقدَّر[1].

نُكتة إسناد فعل الإنزال إلى ضمير العظمة والكبرياء:

التَّنويه بالسّورة ببيان عظمتها وعظمة أحكامها

قَوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾؛ أيْ: بما لنا من العظمة وتمام العلم والقُدرة[2]، بَيَّنَ تعالى أنَّه هو الذي أَنزلها، مُعَبِّرًا عن نفْسِه بصيغةِ الجَمعِ التي تدُلُّ على عَظَمتِه تعالى، وذلك يتضمَّنُ عَظَمةَ هذه السّورةِ؛ ويدلُّ على وجوبِ امتِثالِ أوامرِها، وما فيها مِن حدودٍ وأحكامٍ وآداب؛ ففي هذا الإسناد تنويه بالسّورة بما يدل عليه ضمير الجلالةِ الدّالِّ على العناية بها وتشريفها[3].

دلالة التَّعبير بصيغة الماضي ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾:

تحقيق وقوع الإنزال اعتناء بشأنه وحرصًا عليه

عَبَّرَ النّظم الكريم عن إنزالِها بصيغَةِ المُضيِّ - وإنَّما هو واقِعٌ في الحالِ - باعتِبارِ إرادةِ إنزالِها، فكأنَّه قيل: (أرَدْنا إنزالَها وإبلاغَها)، فجَعَل ذلكَ الاعتِناءَ كالماضي؛ حِرصًا عليه، وهذا مِن استِعمالِ الفِعلِ في معنى إرادةِ وُقوعِه، كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: 6] الآية[4].

دلالة العطف بجمع الفَرْضِ مع الإنزال وسِرُّ تقديم الإنزال عليه:

بيان أنَّ الغَرَضَ من الإنزال الطّاعة والامتثال

عَطَفَ النَّظم الكريم الفرضيَّة على الإنزال في قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ لبيان أنَّ الغرض منها ليس مُجرَّد الإنزال وإنَّما الإنزال المصحوب بوجوب تنفيذ الأحكام والآداب التي اشتملت عليها، والتي أنزلت من أجلها[5]؛ فالفرض مُتَفرع على الإنزال تابع له.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 141.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/ 229.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 142.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 142.
(5) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 10/ 77.

سِرُّ إيثار التّعبير بـ (فرض) دون غيره:

قَولُه: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾؛ أيْ: فرَضْنا ما بُيِّن فيها، وإنَّما قال ذلكَ؛ لأنَّ أكثَرَ ما في هذه السّورةِ مِن بابِ الأَحكامِ والحُدودِ[1]؛ فقولُه: وفَرَضْناها بمَنزلةِ بَراعةِ الاستِهلالِ لما بعدها أيضًا؛ لأنَّ قولَه: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ﴾ ...، إلى آخِرِ السّورةِ مِنَ الأحكامِ كالتَّفصيلِ[2].

الإشـــارة إلى أغلبيَّة الأحكام والـحُـدود في السّورة الكريمة

سِرُّ إسناد فعل الفَرْضِ إلى ضمير العظمة والكبرياء:

قولِه: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾؛ أيْ: بما لنا من العظمة وفي هذه النِّسبة مِنَ الإيذانِ بغايةِ وِكادةِ الفَرْضيَّةِ ما لا يَخفَى[3] مع تفخيم شأنها بنون العظمة[4].

وجه القراءات في لفظة ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾:

قَرَأَ ابْنُ كَثيرٍ وأَبو عَمرٍو بِتَشْديدِ الرّاءِ ﴿وَفَرَّضْنَٰهَا﴾، وقَرَأَ الباقونَ بِتَخْفيفِها[5]، قِراءة ﴿وَفَرَّضْنَٰهَا﴾ بتَشديدِ الرّاء؛ أيْ: فرضْنا فرائضَها، فحُذف المضافُ، وقيل: معناها: أَنزَلْنا فيها الأحكامَ الكَثيرةَ فرْضًا بَعدَ فرْضٍ، وقيل: بَيَّنّا وفصَّلْنا ما فيها مِن أمرٍ ونَهيٍ، وتَوقيفٍ وحَدٍّ[6]، وقِراءة ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ بتَخفيفِ الرّاء؛ معناها: (أَلْزَمناكُم العملَ بما فرَضْنا فيها وبَيَّنّا من الواجباتِ والحُقوقِ)[7].

إفـادة المُبالغة والـتَّـكـثـير في قراءة التَّشديد، وإفـادة الإلـزام والإحـكـام في قراءة التَّخفيف

فقراءة التَّشديد لِلمُبالَغةِ في الإيجابِ وتَوكيدِه، أو لأنَّ فيها فرائضَ شتَّى، أو لكثرةِ المفروضِ عليهم[8]، والمُبالغة، فمن حيث إنَّها حدود وأحكام فلا بُدَّ من المُبالغة في إيجابها ليحصل

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 301، والطّيبي، حاشيته على تفسير الكشّاف: 11/ 6.
(2) الطّيبي، حاشيته على تفسير الكشّاف: 11/ 6.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 155.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 244.
(5) الدّانيّ، التَّيسير، ص: 161، وابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 330.
(6) الأزهريّ، معاني القراءات: 2/ 201، وابن خالويه، الحُجَّة، ص: 259، 260، وابن زنجلة، حجَّة القراءات، ص: 494.
(7) ابن خالويه، الحُجَّة، ص: 259، وابن زنجلة، حُجَّة القراءات، ص: 494.
(8) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 208، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 4/ 98، وأبو حيّان: 8/ 6.

الانقياد لقبولها، وأمّا التَّكثير فلوجهيْن: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى بيَّن فيها أحكامًا مُختلفة، و**الثّاني**: أنَّه ﷺ أوجبها على كُلِّ المُكلَّفين إلى آخر الدَّهر[1].

دلالة الواو والتَّعبير بالإنزال مرَّةً أُخرى:

إظـهـار مـزيـد العناية بإنزال الآيـات البَيِّنات إبانةً لخَطَرها، ورَفعًا لمَحلِّها

قولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: أُعيد فِعْلُ الإنزال مع إغناء حرف العطف عنه لإظهار مزيد العناية بها[2] فإنْ أُريدَ بها الآياتُ الَّتي نيطَتْ بها الأَحكامُ المَفروضةُ، فتَكريرُ (أَنْزَلْنا) مع استِلزامِ إنزالِ السّورةِ لإنزالِها؛ لإبرازِ كَمالِ العِنايةِ بشأْنِها كما هو الحال في ذكر الخاصّ بعد العامِّ، وإنْ أُريدَ جَميعُ الآياتِ، فتَكريرُ (أَنْزَلْنا) مع أنَّ جميعَ الآياتِ عَيْنُ السّورةِ، وإنزالَها عَيْنُ إنزالِها؛ لاستِقلالِها بعُنوانٍ رائقٍ داعٍ إلى تَخصيصِ إنزالِها بالذِّكرِ؛ إبانةً لخَطَرِها، ورَفعًا لمَحلِّها[3].

إسناد الإنزال إلى ضمير المُعَظِّمِ نَفْسَه:

قولُه تعالى: ﴿أَنزَلْنَهَا﴾؛ أيْ: بعظمتنا وهذا تَنْويهٌ بالسّورةِ بما يَدُلُّ عليه (أَنزَلْنا) مِنَ الإسنادِ إلى ضَميرِ الجَلالةِ الدّالِّ على العِنايةِ بها وتَشريفِها، فالمَقصودُ مِن إسنادِ إنزالِها إلى اللهِ تعالى: التَّنْويهُ بها[4].

بلاغة جمع لفظ ﴿ءَايَـٰتٍ﴾ وتنكيره:

الدَّلالة على كثرة الآيات وتَنَوُّعِها

الآيات جمع آية، وهذا تكثير للعطاءات الرّبانية للأمة المحمدية؛ فهي آيات شرعيَّة وأحكام مرعيَّة، وفي هذه السّورة أيضًا طائفة من الآيات الكونيَّة، والظَّواهر الطبيعية، فيها دلالات واضحة، وحجج قاطعة، على توحيد الله وكمال قدرته: مثل النّور والظلمة، والتَّأليف بين السَّحاب، وإنزال المطر من خلاله، ووميض البرق

(1) ابن العربيّ، أحكام القرآن: 3/ 1324، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 301.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 144.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 6، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 155.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 18/ 144.

ولمعانه، وتقليب اللَّيل والنَّهار، واختلاف الحيوانات في أشكالها وهيئاتها وطبائعها، مع اتحاد المادَّة التي منها خلقت، إلى غير ذلك من حجج التَّوحيد وشواهد القدرة، فإطلاق الآيات على كُلٍّ من المعنيَيْن مُراد[1]، والتَّنكير دالٌّ على التَّعظيم والتَّفخيم لأنَّ فيها حججًا وتوحيدًا، وفيها دلائل الأحكام، والكلّ آياتٌ بينات: حجج العقول تُرشد إلى مسائل التَّوحيد، ودلائل الأحكام ترشد إلى وجه الحَقِّ، وترفع غمّة الجهل، وهذا هو شرف السّورة، وهو أقلُّ ما وقع التَّحدي به في سبيل المُعجزة، فيكون شرفًا للنَّبيِّ في الولاية، وشرفًا لنا في الهداية[2].

سرُّ وصف الآيات بـ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾:

التَّنويه بتلك الآيات وتعظيم شأنها

قوله تعالى: ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أيْ: واضحات الدَّلالة على ما فيها من الأحكام[3] والمقصود التَّنويه بآياتها بإجراء وصف بَيِّنات عليها[4] فهي بينات في نفسها فليس فيها مُشْكِلٌ من حيث إنَّ تأويلها موافق لظاهرها[5]؛ فمعنى كونها بيناتٍ وضوح دلالتها على أحكامها لا على معانيها مُطلقًا لأنَّها أسوة لأكثر الآيات في ذلك[6].

بلاغة وصف السّورة بعدَّة صفات:

الامتنانُ على الأُمَّةِ بتَحديدِ أحكامِ سيرتِها في أحوالِها

قَولُه: ﴿أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ صِفاتٌ لـ ﴿سُورَةٌ﴾، والمقصودُ مِن تلكَ الأوصافِ: التَّنْويهُ بهذه السّورةِ؛ ليُقْبِلَ المُسلِمونَ بشراشرهم على تَلقّي ما فيها؛ وفي ذلكَ امتِنانٌ على الأُمَّةِ بتَحديدِ أحكامِ سيرتِها في أحوالِها[7] وهذا الجمع الفريد لهذه

(1) السّايس، تفسير آيات الأحكام، ص: 529.
(2) ابن العربيّ، أحكام القرآن: 3/ 1324.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 18/ 66.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 144.
(5) ابن عطيَّة الأندلسيّ، المُحرَّر الوجيز: 4/ 160، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 6.
(6) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 155.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 142.

الأوصاف يُستدلُّ به لما يُصَدِّر به المُؤلفون أمام كُتبهم والشُّروع في مقاصدهم من الخطب والدّيباجات[1].

غرض التَّعبير بأسلوبِ التَّرجّي بـ(لعلَّ):

جُملةُ: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ مُرتبطةٌ بجُملة: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾؛ لأنَّ الآياتِ دلائل وهي مَظِنَّةُ التَّذكُّرِ، فالمعنى: دلائِلُ، مَظِنَّةٌ لحُصولِ تَذكُّرِكُم؛ فحَصَلَ بهذا الرَّجاءِ وصْفٌ آخَرُ للسّورةِ، هو: أنَّها مَبعَثُ تَذكُّرٍ وعِظَةٍ[2]، والتَّرجي في هذه الآية وأمثالها إنَّما هو بحسب عقول البشر؛ لأنَّ الله تعالى لا يحصل منه ترجّ ورجاء لعباده، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا[3]؛ فحاصله الأمر بالتَّذكر لأنَّ صورة التَّرجي من الملك القويّ في قوَّة الأمر الجليِّ[4].

الأمـر بالتَّفكُّر والتَّدبُّر في دلائل الحَقِّ وعلاماته والعظة بها

سرّ اصطفاء فعل التذكّر:

في قَولِه تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إيذانٌ بأنَّ حَقَّها أنْ تَكونَ على ذُكْرٍ منهُم، بحيثُ متى مَسَّتِ الحاجةُ إليها استَحضَروها[5].

التَّوجيهُ البلاغيُّ لقراءات في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

قَرَأَ حَمزَةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ وحَفْصٌ بِتَخْفيفِ الذّالِ حَيْثُ جاءَ، وقَرَأَ الباقونَ بِالتَّشْديدِ، ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾؛ أيْ: (تتذكّرون ولو نوعا من التَّذَكُّر) كما أشار إليه الإدغام (بما ترون فيها من الحكم، أنَّ الذي نصبها لكم وفصلها إلى ما ترون لا يترككم سُدى، فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الدّاعية إلى إجراء أحكامه فتقبلوا على جميع أوامره، وتنتهوا عن زواجره)[6]، فمَن خفَّف حذف إِحْدَى التَّاءَيْنِ – وَهِي الثَّانِيَة – وهما زائدتان، إلَّا أن الأُولى تدل على معنى

فـي التَّشديد مزيدُ تأكيد

(1) السُّيوطيّ، الإكليل في استنباط التّنزيل، ص: 188.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 144.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 6/ 316.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 247.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 155.
(6) ابن الجزري، النشر: 2/ 266، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 155.

الاِسْتِقْبَال، والثَّانيَة إِنَّمَا دخلت على معنى: (فعلت الشَّيْء على تمهل)، نَحْو قَوْلك: (تفهَّمت الشَّيْء) أَي: أخذت على مهل، وَمَن شَدّد أدغم التَّاء فِي الذَّال لقرب مَكَان هَذِه من مَكَان هَذِه[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإنزال والتَّنزيل:

الإنزالُ على ما يكون دفعةً واحدة[2]، ويطلق التَّنزيل على ما يكون مُفرَّقًا أو تدريجيًّا، فالإنزال دَفْعيٌّ، والتَّنزيلُ تدريجيٌّ.قال الله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:3]؛ وهذا لأن حُكْمَ القرآن الكريم مؤبَّدٌ، وهو مناسبٌ لـ (نزَّل)؛ فإنَّه بناءٌ للمبالغة، ولما في التَّنزيل من معنَى التَّدريج، فبينَ الإنزالِ والتَّنزيل عمومٌ وخصوصٌ، والإنزالُ أَعَمُّ مِنْهُ؛ لأنّه قد يدلُّ على معنى التَّدْريج وقد لا يدلُّ[3].

الإنـزال دَفْعيٌّ، والـتَّـنـزيـلُ تدريجيٌّ

ولا يُشكِلُ على هذا الفَرْقِ وقوع التَّعبير عَنِ نزول القُرآن الكريم بالفِعْلَيْنِ معًا؛ وذلك لأنَّ لِلْقُرْآنِ الكريم نُزولَيْنِ، دَفْعيٌّ إلى السَّماءِ الدُّنيا وتدريجيٌّ بحسب الوقائع والأحداث[4].

الكَتْبُ والفَرْضُ:

تأتي كلمة (كُتِبَ) في كتاب الله تعالى على عِدَّة معانٍ فتأتي بمعنى شَرع لكم، وبمعنى فرض وقَدَّر وحَكَم، وقَضى وأَوجب وأَثبت[5].فتكون في موضعِ (الفَرْضِ) كقوله تَعالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البَقَرَة: 178]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البَقَرَة: 183]،

في الكَتْبِ مَزيدُ إلزامٍ وتأكيد

(1) ابن زَنْجلة، حجة القراءات، ص: 279.
(2) السَّمين، عُمدة الحُفّاظ: (نزل)، والعسكريُّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 79، والجُرجاني، التَّعريفات، ص: 68.
(3) الرّاغب، المُفرداتُ: (نزل).
(4) المقدسيُّ، المُرشِد الوَجيزُ، ص: 17، والسّيوطيّ، الإتقان: 1/ 146.
(5) الرّاغب، تفسير الرّاغب الأصفهانيّ: 4/ 314، والكفويُّ، الكُلّياتُ، ص: 766.

وتكون بِمَعْنى الحُكْم[1]، وبمعنى القضاء والتَّقدير، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التَّوبة: 51]؛ أيْ: ما قضاه وقدَّره وأَبْرَمَهُ[2].

أمّا الفرض فإنَّه يأتي بمعنى الإيجاب؛ أيْ: ما أوجبه اللّه تعالى، بِقَطْعِ الحكم فيه[3] وتأتي كلمة فُرض في كتاب اللّه تعالى على عدَّة معان: فيأتي الفرض بمعنى التَّقدير كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[4]، [الأحزاب:38] ويأتي بمعنى أنزل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾، [القصص:85]؛ أيْ: أنزل عليك القرآن[5].ويأتي فرض بمعنى بيَّن كما في قول اللّه – ﷻ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ﴾ [التحريم:2]؛ أيْ: بَيَّن لكم كَفّارَة اليَمين[6]، فمع اشتراك اللَّفظتين في الدَّلالة على بعض المعاني واختلافهما في بعضه الآخر، إلّا أنَّ في مادَّة الكَتْبِ مَزيد تأكيد وحَتْمٍ وإلزام في باب الإيجاب، وهي أعمُّ من مادَّة الفَرْضِ وأوسعُ منها في المعنى.

(1) مُرتضى الزّبيديُّ، تاجُ العروس: (كتب).
(2) السّمينُ، عُمدةُ الحُفّاظِ: (كتب).
(3) الرّاغِبُ، المُفرداتُ: (فرض).
(4) البيضاويُّ، أنوارُ التّنزيل: 3/ 233.
(5) البغويُّ، معالِمُ التّنزيل: 06/ 226.
(6) الكفويُّ، الكُلّياتُ، ص: 688.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»